صالح عليه السلام

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٣﴾ ﴾

(الشعراء: ١٤١ ـ ١٤٣)

صدق الله العظيم

جاءت رسالة صالح عليه السلام إلى قومه فى ثمود. . وكانت الحضارة فى هذه البلاد قد بلغت شأنا كبيرا، وانتشر الثراء بين ربوعها. . وعاش القوم فى رغدٍ من العيش. . فالأرض مزدانة بالخضرة. . والمراعى الكثيرة تضيف إلى ثرواتها الزراعية ثروات جديدة. . والحياة المعمارية بلغت مكانة مرموقة . . حيث القصور تنتشر فى السهول، والجبال . .إلا أنهم مع ذلك قد ابتعدوا عن الإيمان بالله رغم كل هذه النعمة الكبيرة التى منحها الله لهم.

هذه الحياة الرغدة يصورها القرآن الكريم فى قوله تعالى:

﴿ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُوراً وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتاً فَاذْكُرُوا آلاءَ اللَّهِ وَلا تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٧٤﴾ ﴾ [الأعراف: ٧٤].

وقد كانت قبائل ثمود تعبد الأصنام . .وجاء صالح يدعوهم إلى نبذ هذه الأوثان. .وأن عليهم أن يذكروا نعم الله، ولا يمكن أن تستمر الحياة بعد أن انعدمت صلتهم الروحية بالله وأنهم يخرون سجداً لأوثان لا تشفى مريضاً، ولا تعطى المحتاج ما يحتاج إليه، ولا تحل للناس مشكلة. .إنها حجارة صماء بكماء عمياء ليس لها من أثر إلا أنها تسىء إلى عقولهم. . وأنهم لم يتعظوا بما أصاب قوم عاد

من قبل عندما ضلوا طريقهم فأرسل الله عليهم ريحاً صرصراً عاتية قضت عليهم، ولكن القوم أصموا آذانهم أمام دعوة صالح.

ورأى الأغنياء أن دين صالح لا يدخل فيه إلا الضعفاء وهالهم أن يتساووا مع هؤلاء الفقراء.. وظلوا على كفرهم بدعوة صالح.

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٣﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٤٤﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٤٥﴾ أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ ﴿١٤٦﴾ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴿١٤٨﴾ وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ ﴿١٤٩﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٥٠﴾ وَلا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾ الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ وَلا يُصْلِحُونَ ﴿١٥٢﴾ قَالُوا إِنَّمَا أَنتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ﴿١٥٣﴾ مَا أَنتَ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٥٤﴾﴾ [الشعراء: ١٤١ - ١٥٤].

عانده القوم، وأصروا أن يأتى بمعجزة، والمعجزة حددوها بأنفسهم بأن تخرج من وسط الصخور ناقة عشراء.

وتوجه صالح بقلبه إلى الله، فإذا بالصخور تنشق عن ناقة ضخمة، وهلل المؤمنون وكبروا، وقال صالح:

﴿وَيَا قَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴿٦٤﴾﴾ [هود: ٦٤].

وكانت هذه الناقة تدر لبنا كثيراً. . وحافظ القوم على عهدهم خوفاً ورهبة. . بينما كان زعيم القوم «ذؤاب بن عمرو» يمتلىء قلبه حقداً. . فهو يرى تكاثر عدد المؤمنين بصالح، ويرى أن الناقة الضخمة العشراء قد ولدت وأنها وفصيلها ترعيان فى الأرض ولا أحد يجسر على الاقتراب منها خوفاً من وعد الله كما أوحى به الله إلى صالح.

﴿إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ ﴿٢٧﴾ وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ ﴿٢٨﴾﴾ [القمر: ٢٧، ٢٨].

وازداد قلبه حقداً عندما علم بإيمان خطيب ابنته بدعوة صالح عليه السلام. . ودبرت زوجته «عنيزة» ابنة غنم ابن مجلز مؤامرة لقتل الناقة. . استخدمت فى هذه المؤامرة كل دهاء المرأة، فاستأجرت «قدار بن سالف بن جزع» ليقتل الناقة، على أن تقدم له أموالا كثيرة وتزوجه ابنتها. وكانت هناك امرأة أخرى فى غاية الجمال اسمها «صدفة بنت المحيا بن زهير» انفصل عنها زوجها لإيمانه بصالح، وكان قد سبق أن تقدم لها رجل دميم الوجه وهو ابن عمها فى نفس الوقت واسمه «مصدع»، فطلبت منه أن يقتل الناقة وأعطته وعداً بأن تتزوجه. واتفقا قدار ومصدع على تنفيذ المؤامرة، وجندا معهما سبعة آخرين لقتل الناقة ووصفهم القرآن الكريم بقوله:

﴿وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ [النمل: ٤٨].

وجاء نبأ مقتل الناقة إلى صالح فحزن حزناً شديداً، فكيف تسول لهم أنفسهم قتل هذه الناقة التى كانت آية من آيات الله. . !

لقد تعاون كل من قدار ومصدع فى قتل الناقة، أما فصيلها فقد أنطلق بسرعة مذهلة حيث دخل فى الصخرة التى خرجت منها أمه. ولم يظهر له أثر بعد ذلك.

﴿وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالآيَاتِ إِلاَّ تَخْوِيفًا﴾ [الإسراء: ٥٩].

وعندما نجحت مؤامرة هؤلاء التسعة زادوا إثما وإجراما فسولت لهم أنفسهم قتل صالح، ولكن أثناء جلوسهم يدبرون المؤامرة لقتل نبى الله سقط عليهم سقف الحجرة فلاقوا حتفهم.

﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [النمل: ٥١].

وخرج صالح عليه السلام وأتباعه من ثمود، تاركا هؤلاء الكفرة لعذاب الله وانتقامه.

﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾ وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [هود: ٦٦، ٦٧].

* * *